خدمة المديح الذي لا يُجلسُ فيه لوالدة الإله الكلية القداسة " الأوكاثيستون "

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- هي خدمة تقريظ لوالدة الإله، مرتبطة بعيد البشارة الذي يقع في الصوم الكبير.

- في ممارستنا الحالية، نقيم جزءًا منها مساء كلّ جمعة من أسابيع الصّوم الأربعة الاولى، ثم نعيدها كاملة في الأسبوع الخامس.

- وهي، في الأساس، عبارةٌ عن نوعين من التسابيح هما "القنداق" و"القانون" نتلوهما ضمن خدمة صلاة النّوم الصغرى.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- القنداق نمطٌ شعريٌّ كُتِبت فيهِ التَّسابيحُ والأناشيدُ الكنسيَّةُ باللُّغة اليونانيَّة في القرنين السادس والسابع.

- يَعتمد على السَّرد القصصيّ، وذكرِ الحوادث المُهمَّة المرتبطة بالمناسبة المعيّد لها.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- يتألَّف القنداقُ عامَّة من مقدّمَة قصيرةٍ توجِزُ مضمونَهُ، تليها مقاطع تسمَّى "أبياتًا"، يتراوح عددها بين 20 و30 بيتًا، ينتهي كلٌّ منها بعبارة لازمة هي العبارة الأخيرة من المقدّمة، وقد كان القنداق يُتلى في صلاةِ السَحَر.

- خدمة المديح منظومةٌ على هذا النَّوع من الكتابة الشّعريّة. إنَّها قنداقٌ في تجسُّد الكلمة، وبشارة العذراء.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- تتألَّفُ من مقدّمة أساسيّة هي "إنَّ غير المتجسّد لما أَخذَ في معرفته ما أُمر به سريًا"، ومن أربعة وعشرين بيتًا، تُشكّل الحروف الأولى من الأبيات الأبجدية اليونانيّة بحروفها الأربعة والعشرين.

- يتميَّز قنداقُ المديح بلازمتَيْن: الأولى "افْرحي يا عروسًا لا عروسَ لها"، تنهي الأبيات المفردة العدد. والثانية، وهي عبارة "هللويا"، تنهي الأبيات المزدوجة العدد.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- من حيث الأسلوب، نجد في صياغة قنداق المديح استعمالَ نوعين أدبِيَّيْن:

1- ما يسمّى بالنَّشائد الشعريَّة حيث يصبح لدينا اثنتا عشرة جملة شعريَّة في كل بيتيْن.

2- النَّشائد الابتهاليَّة والَّتي تبتدِئُ بعبارة "افْرحي"، منظومةٌ على نمط الموازاة الّذي يكثُر استعماله في المزامير الكتابيَّة.

هنا أيضا نجد اعتمادًا على العدد 12 في التَّقسيم.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- دخلَ العدد 12 في التَّركيب الشّعري للمديح بسبب أهمّيَّتِه، إذْ يرمز إلى والدة الإله، "المرأة الّتي على رأسها إكليل من اثني عشر كوكبًا"، كما أُشير إليها في رؤيا 12: 1.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- أمّا من حيث المضمون، فيُقسم قنداقُ المديح قسمَين: تاريخيّ ولاهوتيّ:

1- يشمل القسم التاريخي الأبيات الـ 12 الأولى، وفيه سرد لأحداث البشارة، والميلاد، والدخول إلى الهيكل كما وردت في الإصحاحَيْن الأوَّليْن من إنجيلي متّى ولوقا.

2- أمّا القسم اللّاهوتي فيشمل الأبيات الـ 12 الأخيرة، وفيه إعلان لعقيدة التجسّد، وتأمل في دور والدة الإله.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- كُتبَ قنداقُ المديح في الأصل لكي يُتلى في سَحَر عيد البشارة، وقد كان يُحتفل به في السّادس والعشرين من كانون الأَوّل كتقدمة لعيد الميلاد الذي كان مقرونًا بعيد الظُّهور الإلهي في السادس من كانون الثاني.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- في عهد الامبراطور يوستينيانوس (527-567) نُقل عيد البشارة إلى الخامس والعشرين من آذار، واحتفظت الخدمة بالقنداق، فيما أصبح السادس والعشرون من كانون الأوّل عيدًا جامعًا لوالدة الإله. حتى ذلك التاريخ كان قنداق المديح يُتلى مرَّة في السَّنة وذلكَ في سَحَر عيد البشارة.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- في السابع من آب 626، إثر نجاة القسطنطينية من أَيدي الفرس والأفاريين الّذين كانوا يحاصرونها، اجتمع الشَّعب في كنيسة الحكمة الإلهية Agia Sofia، ورتَّلوا قنداق المديح وقوفًا بعد أن أضاف إليه البطريرك سرجيوس مقدمةً أخرى هي "إنّي أنا مدينتك". منذ ذلك الوقت، صار القنداق يُرتَّل مرَّة ثانية في عيد نجاة القسطنطينية في السابع من آب. وفي وقت لاحقٍ، اندمج هذا العيد بعيد البشارة.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- بعد القرن التاسع، حَصَلَ انحسار في استعمال القنداق بشكل عام.
- واحتُفِظ منه بالمقدّمة الّتي سُمّيَتْ قنداقًا، وببيت من أبياته المتعدّدَة.
- هذا ما نجده في كتبنا الطقسيّة في "القنداق" و"البيت" اللّذين نتلوهما قبل البدء بالكاطافاسيّات مباشرة.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- توالى إنشاد المديح إلى أن حلّت الصدمة: سقطت "المدينة" ليل الثلاثاء 29 أيّار 1453 فزال مجد القسطنطينية. أمّا نشيد المدينة فلم يبطل.

فما هي الأسباب التي جعلت الأرثوذكسيّين يتلون حتى يومنا ابتهالاً فشل في إنقاذ "مدينتهم"؟

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- لقد أدركَتِ الأرثوذكسيّة أنَّ أولئك الَّذين وقفوا في كنيسة "الحكمة المقدسة" في القسطنطينية، "جعلوا قلوبهم فوق"
- كما أدركَتْ أن "ليس لنا هنا مدينة باقيةٌ، بل نطلب الآتية" (عبرانيين 13: 14)
- وأيقنَتْ أنَّ السيّدة ستبقى حتّى اليوم الأخير "جندية محامية" عن "مدينتها"، وأنَّ مدينتَها هي كل مدينةٍ، أو بالأحرى هي عاصمةُ المُدُن، هي "القلب كلّه"

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- وفهِمَتْ أنَّ "مصارعتَنا ليست ضد دمٍ ولحمٍ، بل ضد... ظلمة هذا الدهر، ضدّ أجناد الشرّ الرّوحية" (أفسس 6 :12)، وأنَّ "جميع الشرور" التي تهدّد الناس "تخرج من الداخل من قلوب الناس" (مرقس 7: 21-23).

- ثم إنَّ الصلواتِ التي قدَّسَت "مثل هذه السحابة من الشهود" جيلاً بعد جيل، قادرةٌ هي إيّاها، إذا أُدّيتْ بفهمٍ، أن تقدّسَ كلَّ جيلٍ في أيَّامنا، وإلى اليوم الأخير.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- مؤلّف قنداقِ المديح هو القدّيسُ رومانس المرنّم، الحمصي الأصل (عاش في القرن السادس)، وقد كان رائدًا في كتابة هذا النوع من الشعر.

- قانون المديح هو مِنْ نظمِ القدّيس يوسف المنشِئ (القرن التاسع)، الّذي نظم معظم القوانين الموجودة في الكتب الطقسية.

- أمّا المقاطع التّسعة الرئيسة، أو الأراميس، أي "أَفتح فمي.." وما يتلوها، فهي مِن نَظم القدّيس يوحنّا الدّمشقي (القرن الثامن).

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- نقلَ البطريرك القسطنطيني فوتيوس قنداقَ المديح من سَحَر البشارة إلى السبت الخامس من الصوم، بسبب إمْكانيّة وقوع عيد البشارة بين الأسبوع العظيم ونهار الأربعاء بعد الفصح، وأضاف إليه قانون يوسف المنشئ.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- ومنذ ذلك الوقت صارَ يُعيَّد لعيد المديح في السّبت الخامس من الصوم. لهذا السبب، في ممارستنا الحاليّة، نتلوهُ كاملًا في ذلك الوقت.

- أمّا تقسيمه إلى أدوار، وتوزيع إلى أربعة أسابيع، وارتباطه بصلاة النّوم الصّغرى، فهو تقليد متأخر.

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- نوردُ في ما يلي شذراتٍ من خدمة المديح مع الإشارة إلى المراجع الكتابيّة التي استلهمَها النّاظم ليصفَ والدة الإله:

- الأمُّ الملكة مزمور 45: 9
  - عرش ناريّ للضابط الكل دانيال 7: 9
  - ولدتِ التفاحة العطرة نشيد الأنشاد 7: 8
  - مثل ارض لم تُفلح أبدًا ارميا 26: 18 وميخا 3: 12
  - مائدة حيّة حاوية خبز الحياة 1 ملوك 7: 48
  - حملَت حملَ الله يوحنا 1: 29
  - يا صبحًا منيرًا رؤيا 22: 16

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

- إنَّ الفتيةَ المتألّهي العقول لم يعبدوا الخليقةَ دونَ الخالق بل وَطِئُوا وعيد النار بشجاعة دانيال 3: 19-30
- يا سحابة منيرة متى 17: 5
- يا عمقًا لا يُدرك أيوب 11 :7
  يا علوًّا لا يوصف أيوب 22: 12
  يا عامودا ناريّا يقود البشر إلى الحياة العلوية خروج 13: 21
  يا من هي وحدها جميلة في النساء نشيد الأنشاد 1: 8

المديح الذي لا يُجلسُ فيه

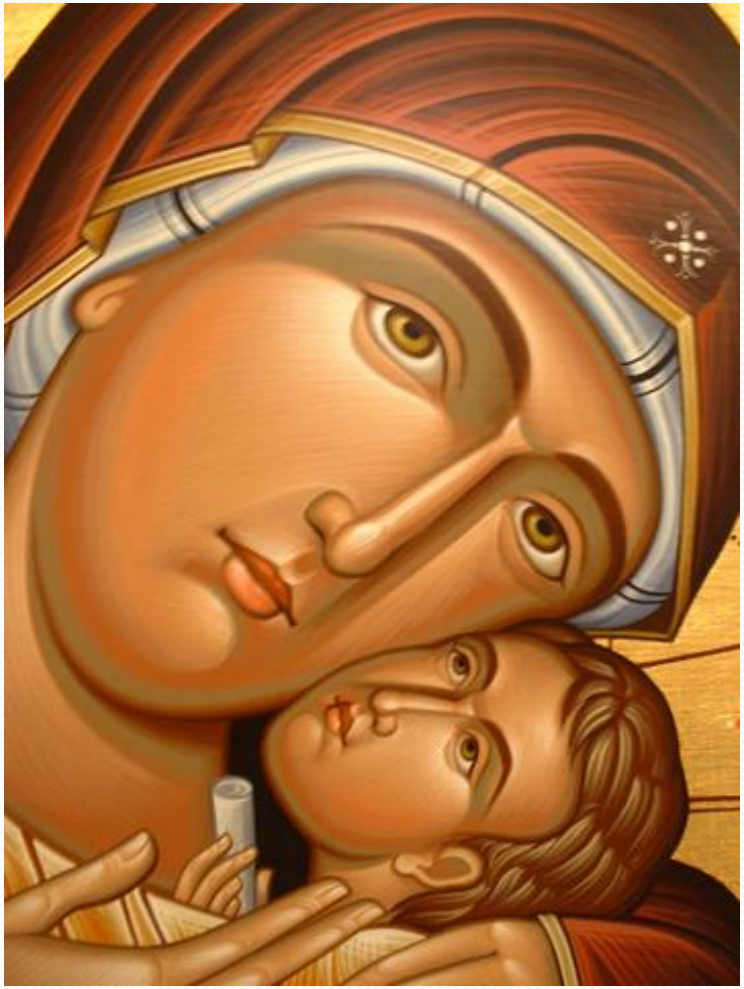

- يبقى أن نضيف أنَّ سَرد صفات الكليّة القداسة في كلّ مديحٍ بأفواه مريديها وعلى مسامعهم مساءَ كل جمعةٍ من هذا الموسم المبارك يؤدّي بنفوس المصلّين إلى التشبّه بوالدة الإله، وهكذا تتصاعد المدائح لتطال ***عذراءين اثنتين:***

1. مريم العذراء
2. والكنيسة العذراء المجاهدة في صحراء الصوم إلى أن يطلّ العريس المرفوع على الصّليب.